

خطبة بعنوان:

توقير كبار السن وإكرامهم

أولى الكبار بالرعاية والعناية والتوقير

مظاهر تنمّر بعض الشباب على كبار السن وواجبنا تجاههم

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٧ جمادى الآخر ١٤٤٧هـ، الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٥م

موقع صوت الدعوة - صفحة معارج الدعوة

الحمد لله الذي خلق الأكوان بقدرته، وزيّنها بحكمته، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل الجمال آيات دائمة ومتجددة في كتاب الله المنظور وفي كتابه المسطور...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً (ﷺ) عبده ورسوله، هو أجمل الخلق خلقاً وخُلُقاً، صلى الله عليه وآله وسلم صلاة تزيد القلوب نوراً، والوجوه بهاءً، والنفوس جمالاً...

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشراف الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهرة المثمران، على من جمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه.. اللهم صلّ أفضل صلاة، على أسعد مخلوقاتك، سيّدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه؛ عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، ورضى الله عن مشايخنا ووالدينا وأجدادنا وأولادنا وأزواجنا، والصالحين من عبادك، وأولياء الله أجمعين.

اللهم صلّ صلاة كاملة، وسلم سلاماً تاماً، على نبي تحلّ به العقدة، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتُنال به الرغائب، وحسن الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجه الكريم. وعلى آله الطاهرين، وصحبه الطيبين، وسلم تسليماً كثيراً... اللهم آمين يا رب العالمين.

فَمَبْلُغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

مولاي صلّ وسلم دائماً أبداً... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضّه عنا، وارض عنا، برضاه عنا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

عباد الله: أوصيكم ونفسي المقصورة بتقوى الله، فإنها وصية الله (تعالى) للأولين والآخرين، قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١)، وقال تعالى: (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَيْ شَتُّوْهُ ۖ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣)...

اللهم اجعلنا من الذين قال الله (تعالى) فيهم: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦) ... أما بعد،،،

ليسمح لي أخي القارئ الكريم أن أستهل هذا الموضوع المهم بهذه القصة الملهمة التالية:

قصة العجوز الذي أنقذ السفينة بخبرته

حُكي أنَّ سفينة ضخمة تعطلت في عرض المحيط، لقد توقف محركها العملاق عن العمل تماماً، وساد الارتباك بين المتخصصين من المهندسين الشباب الذين يمتلكون أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا. حاولوا أن يصلحوا العطل بكل ما يمتلكون من أدوات وبرامج وأجهزة حديثة وتشخيصات، لكن المحرك ظل صامتاً بلا حرك، ولا يستجيب.

ومع مرور الوقت أوشك الزاد على النفاد، وبدأ الخوف والرعب يتسرب إلى القلوب؛ فالحلاك يقترب والسفينة لا تزال معلقة وسط الأمواج بلا حراك.

وعلى متن السفينة كان هناك رجلٌ مسنّ، تظهر قصر القامة من إنحاء ظهره، تحمل تجاعيد وجهه حكايات عمرٍ طويل، وتجارب لا تُقرأ في كتاب.

ولمّا علم بما حدث، طلب بهدوء أن يدخل غرفة المحرك... نظر إليه بعض الشباب نظراتٍ باستغراب: ماذا سيفعل هذا العجوز أمام محركٍ أعجز أهل التكنولوجيا؟ ولكن لم يكن أمامهم حلٌّ آخر.

دخل الرجل بثقة العارف، وراح يتحسّس المحرك العملاق بيد خبيرة، كأنما يقرأ ما لا يُرى، ويتلمّس ما لا يسمعه غيره.

وفجأة توقف عند نقطة معينة، ثم أخرج من حقيبته شاكوشاً صغيراً، وطرق على ذلك الجزء ثلاث طرقاتٍ فقط بعناية..

ويا لدهشة الجميع! فجأة دبّت الحياة في المحرك، وعاد ليعمل كما لو لم يتوقف قط، وتعالّت صيحات الفرح بعدما جاء الأمل العريض لينجوا من الهلاك بفضل هذا الرجل العجوز المسن.

وبعدها قالوا له:

— كم أجرك يا عم؟

قال بهدوء: خمسة آلاف دولار.

فاستغربوا وقالوا:

— ثلاث طرقات بشاكوش صغير تأخذ عليها كل هذا المبلغ!؟

فابتسم العجوز وقال:

— الطرقات الثلاث تساوي عشرة دولارات...

أما معرفتي وخبرتي المتراكمة عبر السنين: أين أطرق، ومتى أطرق، ولماذا أطرق فثمنها أربعة آلاف وتسعمائة وتسعون دولاراً.

ومن هذه القصة الملهمة نوجه رسالة لكل النشء والشباب:

١. احترام خبرة الكبار، فهي كنز لا يُقدَّر بثمن؛ فسنوات العمر تمنح الإنسان بصيرة لا تمنحها التكنولوجيا مهما بلغت.

٢. لا تستهن بالمستين؛ فالتجاعيد التي على وجوههم هي سجلات معرفة، وتجارب صنعتها الأيام.

٣. المعرفة ليست في قوة الأدوات بل في عمق الفهم؛ ضربة صغيرة بخبرة، خير من ألف ضربة بلا بصيرة.

٤. الحياة سَلَفٌ وذِين؛ من يستخفّ بخبرة الكبار اليوم سيُستخف به غداً.

٥. التواضع أمام مَنْ سبقونا هو طريق النجاة؛ فكثير من الحلول العظيمة يحملها رجال لا تلفت أنظار الناس إليهم.

٦. الخبرة تُبنى بالعمر، ولا تُشتري؛ ومن حق صاحبها أن يُقدَّر ويُكرَّم.

كبار السن: بركة الزمان وحسنة الأيام

كبار السن هم بركة الزمان، وحسنة الأيام، وذخائر الحياة، وخزائن الخبرة، وبوائق التجربة... إكرامهم وتوقيرهم واجب ديني وإنساني وحضاري، واحترامهم في شتى مواقف الحياة واجب وليس تفضلاً، ومن ذلك:

١. في الكلام:

فالحديث مع كبار السن يجب أن يكون لينا، رقيقاً كنسيم الصباح، يعبر عن الاحترام والاهتمام. وعلينا أن نستمع لهم بصدق، ونستمع بما يقولون، وعدم مقاطعتهم، والتفاعل مع قصصهم وحكاياتهم بعين التقدير، ولا نظهر الملل من تطويلهم. وعلينا أن نقدر كلامهم حتى بالكلمات البسيطة مثل: "تفضل" و"جزاك الله خيراً" حيث لها وقع كبير في قلوبهم، وترزع في نفوسنا بذور الأدب والرحمة.

٢. في السلام:

يبدأ الاحترام بابتسامة صافية وتحية دافئة. والمبادرة بالسلام عليهم قبل غيرهم، ومصافحتهم أو تقبيل أيديهم عند الحاجة، علامة على التقدير والاعتراف بمكانتهم. مع الأخذ في الاعتبار أن السلام عليهم هو تعبير عن التوقير والتكريم، ويجعل القلوب تنعم بالراحة والسكينة، وننال شرف رضاهم ودعائهم.

٣. في المناقشة:

إعطاء كبار السن الأولوية في الحديث، والاستماع لآرائهم بعناية، والرد عليهم بلطف وحكمة، دون تقليل أو تجاهل.

وإذا اختلفنا معهم، نستخدم أسلوب الحوار الرفيع، بعيداً عن الصخب أو الغضب، لأن مناقشتهم فرصة للاحتذاء بحكمتهم والتعلم من خبراتهم الطويلة.

٤. في السير والمشى:

عند المشي معهم، نفتح لهم الطريق، ونمهل خطواتنا لتناسب مع خطواتهم، ونقدم المساعدة عند الحاجة، خاصة إذا كانوا مثقلين بالسن أو يحملون شيئاً.

هذه اللفتة الصغيرة تعكس الرحمة واللطف، وتكرم كبار السن عملياً وليس فقط كلاماً.

٥. في الجلوس والطعام:

تقديم المقعد الأنسب لهم، وإعطائهم الأفضل في الطعام والشراب، يجعلهم يشعرون بالاهتمام والتقدير. مع مراعاة راحتهم في كل موقف وبما يعكس مدى احترامنا لهم واعترافنا بعطائهم المستمر في حياتنا.

٦. في المناسبات العامة والحياة اليومية:

احترام كبار السن في المجالس والمؤتمرات واجب، وإشراكهم في اتخاذ القرارات عند الحاجة يزيد من شعورهم بالقيمة والانتماء. كما أن متابعة صحتهم، ومساعدتهم في أمورهم اليومية، يعكس الحب والرحمة ويجعل حياتهم أيسر وأجمل.

وهكذا فإن احترام كبار السن ليس مجرد سلوك اجتماعي مقدر ومحمود، بل هو عبادة وقربة إلى الله سبحانه وتعالى، فبرّ كبار السن، وإكرامهم، والاعتناء بهم سبب للبركة في حياتنا، ووسيلة لغرس المحبة والرحمة في قلوبنا، فتزدهر الحياة بألوان الخير والسكينة..

نشأنا في زمن تربينا فيه على توقير الكبار

حكايات احترام الكبار

تربينا قديماً على احترام الكبير وتقديره وتوقيره، وكان الحياء يملأ نفوسنا حتى إننا نستحي أن نرفع أعيننا في وجه كبار السن توقيراً لهم.

وكانت مظاهر التقدير لهم جزءاً من الحياة اليومية، لا يحتاج أحد لتذكيرنا بها ولا لفرضها علينا... وأذكر أنه في صباح العيد، كانت القرية بأكملها -صغيرها وكبيرها- تخرج بعد شعائر صلاة العيد في صفوف ممتدة، متجهين جميعاً إلى أكبر رجل سنّاً في البلدة للسلام عليه وتوقيره وجبر خاطره وتلمس البركة منه. وما يزال هذا المشهد عالقا في مخيلتي من أكثر من خمسة وأربعين عاماً، كان يستند إلى عكازه وقلبه عامر بالهيبة والوقار، فيستقبل سلام الناس واحداً واحداً، في مشهد يملؤه الاحترام والتعظيم والفرح. كان الجميع يشعر بأن تكريم الكبير واجب، وأن تهنئته بركة، وأن الوقوف أمامه لحظة هو شرف وتربية. هكذا تربينا على توقير الكبير، ورحمة الصغير، وحفظ مكانة من تقدّموا في العمر، فكبر معنا هذا الخلق حتى صار جزءاً من هويتنا وشخصيتنا.

شواهد عطاء الكبار

أيها السيدات والسادة، اعلموا أن:
الأشجار التي نأكل منها، ونستظل بها، هي التي زرعها لنا الكبار.
والمدارس التي نتعلم فيها شيدها الكبار، وغرسوا فيها بذور العلم والمعرفة.
والطرق المعبدة التي نسير عليها بأريحية، ما هي إلا صناعة الكبار، وجهودهم المتواصلة لتسهيل الحياة.
والمنازل التي نسكنها ونعيش فيها بأمان ونستظل بها، شيدها لنا الكبار.
والمستشفيات التي نتلقى فيها الرعاية الصحية هي ثمار مجهودات جيل سبق، وتضحياتهم في بناء الوطن وخدمة الإنسان.

والمكتبات والكتب التي نستفيد منها هي إرث كبير تركه لنا الكبار لنهتدي به في حياتنا.
والحدائق والميادين التي نمرح فيها هي جهود وتخطيط كبارنا لإسعاد الأجيال القادمة.
والقوانين والأنظمة التي تنظم حياتنا وضعها خبراء كبار لتأمين المجتمع وإنصاف المظلومين.
والثقافة والفنون الهادفة التي نستمتع بها اليوم، هي خلاصة عطاء الكبار الإبداعي.
والأمن الذي نحياه هو نتاج حنكة الكبار الذين قدموا التضحيات من أجل وطننا وأجياله المتعاقبة.

وهكذا زرعوا لنا بذور العلم، وشقوا لنا طرق المعرفة، وبنوا لنا أسس الاستقرار، وغرسوا في المجتمع قيم العمل والصدق والإبداع.
وبهذا، يصبح كل ما نعيشه اليوم ما هو إلا مرآة لجميلهم وصنيعهم الذي يتطلب منا إبداء التقدير لهم والدعاء لهم.

سنة الضعف والقوة

حكمة الله في أطوار العمر وواجب توقير كبار السن

ولا ريب في أن احترام الكبار والمسنين وتوقيرهم من صميم تعاليم الدين الإسلامي، مع الأخذ في الاعتبار أن كلا منا سيمر بهذه المرحلة التي هي سنة من سنن الله في خلقه، قال تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)** (الروم: ٥٤) .
يقول الإمام السعدي (رحمه الله) في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "يخبر تعالى عن سعة علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، فقد ابتدأ خلق آدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نقطة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار في الأرحام إلى أن ولد، وهو في سن الطفولة وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئاً فشيئاً حتى بلغ سن الشباب واستوت قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشيبة والهرم، **(يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)** بحسب حكمته. ومن حكمته أن يري العبد ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا. وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه".

احذروا كسر خاطر كبار السن والمسنين

إنّ من أعظم ما يُبتلى به الإنسان في هذه الحياة أن يقسو قلبه، فمن حُرِم الرحمة فقد حُرِم، ومن دلائل القسوة أن يُهمل حقّ من تقدّم به العمر، وتعبّ في سبيلنا، وشابت أيامه لأجلنا.
كبار السنّ ليسوا أرقاماً في سجلات؛ بل هم صفحات جميلة في حياة مملوءة بتجارب، وذخائر حكمة وضعتها الأيام في قلوبهم، فهم جذورنا الراسخة، ومصابيح بيوتنا، وبركة أعمارنا.
وإنّ كسر خاطر الواحد منهم جناية على الوفاء، وإساءة إلى تاريخ من العطاء؛ فكم حملوا عنا ما ينوء به الأقوياء، وكم بذلوا من أجل سعادتنا ما لا تحصىه عدداً.
والقلب -أيها السادة- حين يضعف الجسد... يكون شديد الحساسية، سريع التأثر، يحتاج منا إلى كلمة طيبة، ونظرة تقدير، ويد حانية تُشعره أنّ مكانته محفوظة، وأنّ قدره مرفوع في النفوس.
أكرموا كبيركم؛

فمن أكرم الكبير رفعه الله، ومن قرّ ذا الشيبة وقرّه الله في الدنيا والآخرة.
ولا تكونوا سبباً في ألم لأحد سبقكم في السنين، فإنّ الأيام دُول، ومن يزرع اليوم يحصد غداً.
فاحذروا من كسر قلوبهم...

فإنّ تلك القلوب ما اعتادت الانكسار، وإن انكسرت... انكسر معها شيء من إنسانيتنا نحن.

قبل أن تكسر... تذكر أن الدور سيأتيك

يجب أن نعلم، بل نوقن يقيناً لا يخالطه شك، أننا سنغدو يوماً مثل هذا الرجل المسن، أو مثل تلك السيدة المنهكة التي أثقلتها أعمال السنين.

ستشيب رؤوسنا، وتضعف قوانا، وتحتاج قلوبنا إلى كلمة طيبة ونظرة حانية تسند الروح قبل الجسد.

فاسأل نفسك الآن: كيف تحب أن يعاملك الشباب حين تبلغ هذا العمر؟

هل تريد احتراماً؟ هل تريد رحمة؟ هل تريد صديقاً يتسع لك حين تضيق عليك الدنيا؟

إذن قدّم هذا اليوم لمن سبقوك؛ فالدنيا سلفٌ ودين - كما يقولون -، وما تزرعه في قلوب الكبار يحصد قلبك يوم تصبح في مقامهم.

أحسن إليهم... ليحسن إليك. وارحمهم... ليرحمك الله والناس. واجبر خواطرهم... ليجبر الله خاطرك حين تحتاج الجبر حقاً.

مظاهر تنمر بعض الشباب على كبار السن وواجبنا تجاههم

يمثل كبار السن ركناً أساسياً في المجتمع؛ فهم أهل الخبرة والحكمة الذين قدّموا الكثير في سنوات عمرهم، ويستحقون كل احترام وتقدير.

ومما يؤسف له أننا نرى في حياتنا اليومية مظاهر تنمر وسلوكيات غير لائقة يمارسها بعض الشباب تجاههم، مما يخلّ بالقيم الأخلاقية ويضعف الروابط الإنسانية.

حيث يتعرض بعض كبار السن لمواقف مؤذية في حياتهم اليومية، منها:

- أن بعض الشباب يضايقونهم أثناء قيادتهم للسيارة ببطء؛ فيضغطون عليهم بآلة النبيه بشكل مزعج.
 - أو يمرّون بجانبهم بسرعة فائقة أو يتجاوزونهم بطريقة استفزازية ومخيفة الأمر الذي قد يفقدهم تحمّهم.
 - رفع الصوت عليهم في الأماكن العامة عندما يحتاجون وقتاً أطول للحديث أو إنجاز أمور بسيطة.
 - الاستهزاء بضعف ذاكرتهم أو بطء حركتهم في الطوابير والمستشفيات.
 - ويتجاوز الأمر أحياناً ذلك إلى تصويرهم دون إذن ونشر المقاطع للسخرية.
 - التقليل من قيمة آرائهم وخبراتهم في المجالس ومقاطعهم في الكلام وكأن وجودهم بلا قيمة.
 - سخرية بعض الشباب من لباس كبار السن أو نظاراتهم أو حتى من ضعفهم في استخدام الهواتف والتطبيقات الحديثة، وكأن هذه التفاصيل الطبيعية تُبرر الإهانة أو التهكم.
- ومواجهة هذه الظاهرة مسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والمجتمع.
- فمن واجبنا تعليم الأولاد قيمة احترام الكبير، وتشجيعهم على مساعدته، والتدخل بلطف عند رؤية موقف تنمر لحماية المسنّ من الأذى.

كما يجب نشر الوعي عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي بضرورة التعامل مع كبار السن برفق وتقدير، وتحويل مشاهد السخرية إلى رسائل إيجابية تُذكر بأهمية الرحمة وحفظ الكرامة.

ويبقى احترام كبار السن خلق رفيع يعكس أصالة المجتمع وقيمه. والتعامل معهم بلطف ورحمة يعكس نضج الإنسان وأخلاقه، ويُشعرهم بالأمان والمكانة التي يستحقونها. فالكبير اليوم كان شاباً بالأمس، ونحن اليوم شباب وسنكون في مكانهم غداً، لذلك يجب أن نعاملهم بما نحب أن نُعامل به.

أولى الكبار بالرعاية والتوفير

١. الوالدان (الأم أولاً ثم الأب)

• النص القرآني يكرّر فضل الوالدين في سور متعددة: قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخَفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣-٢٤).

وقال سبحانه: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۚ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعَّهُمَا ۚ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (لقمان: ١٤-١٥).

• الأم أولى بالرعاية نظراً لما تحمله من مشقة الحمل والولادة والرضاعة والتربية، ثم الأب.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله، من أحقُّ النَّاسِ بحُسنِ صحَابَتِي؟

قال (ﷺ): (أُمُّكَ)

قال: ثُمَّ مَنْ؟

قال: (ثُمَّ أُمُّكَ)

قال: ثُمَّ مَنْ؟

قال: (ثُمَّ أُمُّكَ)

قال: ثُمَّ مَنْ؟

قال: (ثُمَّ أَبُوك) (١).

• يشمل الاحترام بالكلمة الطيبة، الطاعة فيما لا معصية، الدعاء، والتخفيف عنهم.

٢. الأجداد (والد الوالدين أو والد الوالدة)

بعد الوالدين، يأتي دور الأجداد الذين كبروا في السن وقدموا الرعاية والتربية للأجيال السابقة.

يجب احترامهم، مساعدتهم في شؤون الحياة اليومية، والاستماع لنصائحهم.

٣. العمات والأعمام والخالات والأخوال

الأقارب الذين تقدموا في السن، خصوصاً ممن له أثر تربوي أو اجتماعي في الأسرة.

يشمل الوقوف احتراماً لهم، مساعدتهم، وعدم السخرية منهم.

٤. المسنونون من غير الأقارب (الجيران، كبار السن في المجتمع)

النصوص الإسلامية تحث على الإحسان إلى الجيران والمحتاجين، وكبار السن من المجتمع محل تقدير واحترام.

يشمل تقديم المساعدة في الأسواق والمواصلات، وحمل الأشياء عنهم، واحترامهم في الكلام، وعدم الإيذاء بأي شكل.

٥. كل ضعيف مسن يحتاج الرعاية

أي مسن ضعيف جسدياً أو عقلياً، حتى لو لم يكن قريباً، له الحق في الاحترام والمساعدة.

يشمل ذلك الرفق بالكلمة والعمل، وتوفير حاجاته اليومية.

يقول النبي (ﷺ): (ابْغُؤْنِي ضِعْفًا كَمَا ابْغُؤْتُمُونِي بِأَنْ تَرْزُقُونَنِي وَتُنَصِّرُونَنِي بِضِعْفَيْنِ كَمَا ابْغُؤْتُمُونَنِي) (٢).

١ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

(٢) أخرجه شعيب الأرنؤوط (تخريج المسند لشعيب) إسناده صحيح.

مع الأخذ في الاعتبار أن الترتيب يعكس الأولوية بالصلة والفضل والأثر في حياتنا، وأن التوقير يشمل: الكلمة الطيبة، المساعدة العملية، الدعاء، احترام المقام الاجتماعي، وعدم الإهانة أو السخرية

المسؤولون كبار السن:

يشمل التكريم والتوقير كبار السن من القادة أو المسؤولين الذين لهم مكانة اجتماعية أو رسمية أو رمزية، ومن ثم يجب احترامهم لأجل سنهم ومقامهم وما يقدمونه للمجتمع، والتعامل معهم بأدب في المجالس العامة والاجتماعات، مع مراعاة التقدير واللباقة.

حسن خلق النبي (ﷺ) مع كبار القوم:

قد تعلمنا من سيدنا النبي (ﷺ) تكريم كبير القوم، وإنزال الناس منازلهم، واحترام كبار القوم، والشيوخ والمسنين، وشقى القوى المكونة للمجتمع، وإكرامهم حيث كرم النبي (ﷺ) أبا سفيان، حيث قال في فتح مكة: (ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن...) (٣).

لقد تفرّد النبي (ﷺ) في كيفية معاملة النفوس البشرية، وكيف كانت السماحة والرفق والعفو النبوي بدلاً من الإذلال والانتقام. فتأثر أبو سفيان (رضي الله عنه) بهذا الموقف العظيم، ولم يملك إلا أن قال: "بأبي أنت وأمي يا محمد، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!". وكان هذا الموقف النبوي الكريم دعماً نفسياً ومعنوياً وتثبيتاً له على الإسلام وتقوية لإيمانه، وتطميناً له بأن مكانته عند قريش وغيرها. وهذا منهج نبوي كريم، يجب على السادة الدعاة والمرتبين وعموم الناس؛ أن يستوعبوه جيداً، ويعملوا به في تعاملهم مع الناس (٤).

عناية الإسلام بكبار السن

أولى الإسلام كبار السن عناية خاصة وجعل لهم مكانة رفيعة، وجعل احترامهم وتوقيرهم من دلائل نبل القلب وصفاء السيرة. فهؤلاء الذين تقدّمت بهم الأعمار، وبذلوا أعمارهم في عمارة الحياة، يستحقّون الرعاية والعناية والاهتمام والبرّ والرحمة؛ فهم جذور المجتمع، وخبرته، وذاكرته الحية. إكرامهم واجب، وحبهم فرض علينا، واحترامهم والاعتناء بهم سبيل لنيل السعادة في الدنيا والآخرة. يقول أستاذنا الدكتور عبد الحي عذب: "هم الوصل بين الماضي والحاضر حيث لا غنى عن الماضي والحاضر لاستشراف المستقبل، فالملكون الزمني للدول والشعوب هو الماضي والحاضر والمستقبل والشعوب التي تعيش مع طرف واحد منها هي شعوب مبتورة" أ هـ.

أولاً: مكانتهم في الشرع

رفع الإسلام قدر كبار السن، وأمر بالإحسان إليهم، قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣-٢٤).

وقال سبحانه: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ أَنَّ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (لقمان: ١٤-١٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٤) من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا) (٥). وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ، وَالْجَانِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ) (٦).

ثانياً: البر بهم عبادة

جعل الشرع خدمة الوالدين الكبار باباً واسعاً من أبواب الجنة، فالكبر امتحان لليقين، وميزان للبر، وموضعٌ تُختبر فيه الرحمة.

ثالثاً: التقدير الاجتماعي

اعتبر الإسلام كبار السن مصدرَ حكمة، ورأى في تجاربهم زاداً للأجيال، ولذلك قدّمهم في المجالس، وجعل احترامهم واجباً جماعياً لا فردياً فقط. فالجتمع الذي يعرف قيمة شبيهه هو مجتمعٌ نابه يعرف قيمة نفسه وتاريخه.

رابعاً: الرحمة بهم في العبادات

خَفَّفَ الإسلام عن كبار السنّ في التكاليف:

- رَخَّصَ لهم في الصلاة ما يناسب طاقتهم.
 - وجعل الصيام مرتبطاً بقدرتهم، فإن عجزوا أطعموا.
 - وخَفَّفَ عنهم في الحج، فَمَنْ لم يستطع ينيب من يحج عنه.
- وهذه التسهيلات ليست استثناءات، بل هي ترجمة لرحمة الشريعة ومرونتها.

خامساً: صور عملية من العناية

- زيارتهم والجلوس إليهم، والاستماع لخبراتهم.
 - قضاء حوائجهم برضاً وابتسامة.
 - عدم مجادلتهم بحدة، ومشاورتهم فيما يحسنون.
 - حمايتهم من الوحدة، فالأنس دواء الروح، وهم أحوج إليه.
- إن عناية الإسلام بكبار السن ليست مجرد عاطفة، بل هي بناء مجتمع متماسك، يعرف قيمة الوفاء، ويحفظ لمن سبقوه فضلهم. فَمَنْ يَبْرُ كَبَارَ الْأُمْسِ، يَجِدُ الْيَوْمَ مَنْ يَبْرَهُ حِينَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْعَمْرُ.
- أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمداً (ﷺ) رسول الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسْئُقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

كيف نربي النشء والشباب على احترام الكبار وتوقيرهم؟

تربية النشء على احترام الكبار تبدأ من القدوة؛ فعندما يشاهد الطفل والديه ومن حوله يعاملون كبار السن بلطف ووقار، يتشرب هذا السلوك تلقائياً. كما تلعب الأسرة دوراً أساسياً عبر تعليم الأبناء آداب التعامل مع الكبير، مثل حسن الاستماع، وخفض الصوت، والمبادرة بالمساعدة.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه.

وتأتي المدرسة لتكمّل هذا الدور من خلال البرامج التربوية والأنشطة التي تُبرز قيمة كبار السن، وتُعرّف الطلاب بدورهم في المجتمع وما قدموه من تضحيات وخبرات. كما تساعد القصص والمسرحيات والزيارات الميدانية لدور رعاية المسنين في تعميق هذا الشعور لدى الطلاب.

أما المجتمع والإعلام فلهما تأثير كبير في تشكيل الوعي، وذلك من خلال نشر رسائل إيجابية تُعلي من قيمة احترام الكبير، وتقديم نماذج واقعية تُظهر أثر الكلمة الطيبة والموقف النبيل. ويمكن لوسائل التواصل أن تتحول إلى منصة لتعزيز هذه القيم من خلال حملات توعوية تشجع على الرحمة والتقدير وتشجّب التمرّر.

ولا بد من تأكيد الجانب الديني والأخلاقي، فالأديان والقيم الإنسانية كلها تحثّ على توقير الكبير ورحمة الضعيف، وغرس هذه المعاني في نفوس الشباب يجعل سلوك الاحترام نابعاً من قناعة داخلية لا من ضغط خارجي. وفي النهاية، فإن تربية الشباب على احترام الكبار مسؤولية مشتركة، تبدأ من كلمة طيبة في البيت، وتستمر في المدرسة، وتعززها المواقف اليومية، حتى يصبح احترام الكبير سلوكاً أصيلاً في المجتمع كله.

اللهم اكْتُبْ أَسْمَاءَنَا فِي سَجَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ، وَفِي دِيْوَانِ الْمَرْحُومِينَ، وَارْفَعْ أَقْدَارَنَا فِي عَالَمَيْنِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا السَّكِينَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَنُورَ الْيَقِينِ.. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبَارِكَ فِي أَوْطَانِنَا وَيَحْفَظَهَا مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، اللَّهُمَّ احْفَظْهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَبَارِكْ لَنَا فِيهَا، وَاجْعَلْهَا دَارَ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ، وَسَلَامٍ وَإِسْلَامٍ. اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ فَاجْعَلْ تَدْبِيرَهُ تَدْمِيرَهُ، وَرَدِّ كَيْدِهِ إِلَى نَحْرِهِ. اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقِهَا وَغَرْبِهَا، شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا، طَوْلَهَا وَعَرْضَهَا وَعَمَقَهَا، بِحَارِهَا وَسَمَاءِهَا وَنِيلِهَا، وَوَفِّقْ يَا رَبَّنَا قِيَادَتَهَا وَجِيشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرِهَا الشَّرِيفَ، وَعِلْمَاءَهَا، وَحَفِظْ شَعْبَهَا، وَبِلَادَ الْحَبِيبِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهر قلوبنا من الكبر، وزينها بالتواضع، اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (.. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ ...) (الأعراف:

٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفجرى ٢٠٢٢ م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كتّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman5555@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

<https://www.facebook.com/share/1u1EDacEw/?mibextid=LQQI4d>